مدارسة الدرس الأول: شرح متن الورقات

اذكري سبب اختيارنا لدراسة هذا المتن؟

- لشُهرته بين أهل العلم
- لكثرة عناية أهل العلم به
- لأنه غالبا ما يُبدأُ بشرحه لمُبتغي طلب العلم لأنه من الكتب المختصرة التي فاقت غيرها من المتون وكثُر اعتناء العلماء بها ولعدم تقيده بمذهب معين.

ما سبب ذكرنا لتعريف المصنف قبل البدء بشرح مصنَّفه؟

هذا الباب هامّ لأمور منها:

1-معرفة الطالب لهذا المصنف واطلاعه على جانب من سيرته(فلا يكون على هامش الطريق كما يقال)

2-هؤلاء المصنفون لهم منزلة رفيعة عند أهل العلم

3-إذا تعرف طالب العلم على هذا المصنف عرف قدر كتابه وقيمته وانه حري به أن يعتني بهذا المصنَّف وان يوليه أعظم الاهتمام.

المصنِّف:

اذكري اسم المُصنِّف؟

اسمه: عبد الملك ابن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيوية

اذكري كنيته ولقبه؟

كُنيته: أبو المعالي، ويُقال أنه يُكْنى بها بسبب ما كان عليه من عُلوِّ الكعْب في العلم

لقبه: إمام الحرمين لمجاورته وتدريسه في الحرمين الشريفين

ما نِسبته؟

نِسْبته: الطائي (فقد أخبره والده بأنه عربيّ صريح) الجُوَيْنِي (نسبةً إلى جُوين، وهي ناحية كبيرة من نواحي نَيْسابور) النَّيْسابوريّ (باعتبار الوفاة)

اذكري مولده ووفاته؟

مولده: ولد الإمام بقرية جوين إحدى قرى نيسابور ببلاد خراسان في 18 محرم سنة 419 للهجرة

وفاته: -بعد مرض- في ليلة الأربعاء بعد صلاة العشاء في 25 من ربيع الثاني سنة 478 هـ، ودُفن بنيسابور.

ماهو مذهبه؟

مذهبه: شافعيّ، كما هو معلوم من كتابه نهاية المطلب في دراية المذهب وهو من أجلّ كُتُب الشافعية في الفقه، وإن كان لم يبلغْ المرتبة التي تُؤهله لأنْ يكون من أصحاب الوجوه عن الشافعية وربما يكون هذا عائدا لعزوف كثير من الشافعية عن مسلكه لمخالفته لإمام المذهب في باب الأصول.

ماهي عقيدته؟

عقيدته: اشعري

هل كان لنشأة الإمام رحمه الله أثر على مسيرته؟

نعم فقد نشأ في أسرة علم فقد كان أبوه عالما كبيرا جامعا لأصول العلم من عربية وفقه وتفسير وأدب وما شابه ذلك، فقد كان فقيها أصوليا شافعي المذهب ويُكْنى بأبي محمد وهو الذي يُتداول ذكره في كتب المصطلح عند ذكرهم للموضوع وأن من تعمد الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم فإنه كافر ، محدثا، صاحب تصانيف جليلة، وكان جده مرموقا في جوين، ذا فضل وأدب، ولدلك قال عنه ابن عساكر: "رباه حجر الإمامة، وحرك ساعد السعادة مهده وأرضعه ثدي العلم والورع، إلى أن ترعرع فيه ونبغ"

اذكري بعض شيوخه وتلاميذه؟

- من شيوخه: أولا تتلمذ على يد والده- أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن يحيى المزكي _ أبو سعيد عبد الرحمن بن الحسن بن عُليك _ أبو سعيد عبد الرحمن بن حمدان النيسابوري- منصور بن رامش...
- من تلاميذه: منهم: أبي حامد الغزالي ، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي _ الكيا الهراسي وهو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري_الخوّافي وهو أبو المظفر أحمد بن محمد بن المظفر النيسابوري، الفقيه الشافعي...

اذكري شيئا من مصنفاته؟

من مصنّفاته: البرهان في أصول الفقه _ الورقات _ الشامل_الإرشاد _ التلخيص _ التحفة _ وفي الفقه نهاية المطلب

هناك أمور غفل عن ذكرها من ترجم للإمام، ماهي؟

1- الإمام الجويني لم تكن له دراية في علم الحديث فقد كان أجنبيا عن هذا العلم وكذا كان تلميذه الغزالي، وقد انتقد عليهما أبي عمْر بن الصلاح والطُّرطوشي والمازري من المالكية وغيرهم في ذلك وغيرهم من أهل العلم، حتى قال شيخ الإسلام بن تيمية:(واعتبر ذلك بأن كتاب أبي المعالي الذي هو نخبة عمره " نهاية المطلب في دراية المذهب " ليس فيه حديث واحد معزو إلى صحيح البخاري إلا حديثا واحدا في البسملة وليس ذلك الحديث في البخاري كما ذكره ...)-التسعينية –الفتاوى الكبرى

2- كان الإمام – رحمه الله – أجنبيا عن علم الحديث مما أثر على طرْحه ومذهبه وثباته واستقراره في العلوم التي تكلم فيها فإنه لم يكن له استقرار على مذهب معين في أصول الدين وأصول الفقه، وقد أدخل كثيرا من مذهب الاعتزال في الاشعرية وقد ارجع كثيرون نقمة الشافعية عليه لهذا الأمر (بعكس المالكية)..ففي "الشامل" سار على طريقة التأويل وهي طريقة الأشاعرة واهل التأويل . وفي "النظامية" سار على طريق اهل التفويض كما اشار الى هذا شيخ الاسلام في "درء التعارض العقل والنقل". وقد كان للجويني اثر على الاشاعرة بسبب ما ادخله من مذهب الاعتزال كما بين ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية: " وأما كلام المؤسس فإنه اتبع فيه أبا المعالي الجويني فإنه غيّر مذهب الأشعري في كثير من القواعد ومال إلى قول المعتزلة فإنه كان كثير المطالعة لكتب أبي هاشم بن الجبائي وكان قليل المعرفة بمعاني الكتاب والسنة وكلام السلف والأئمة مع براعته وذكائه في فنه " – بيان تلبيس الجهمية مجلد 507/5-

فـــــائدة:

هناك الكثير من المسائل التي أدخلها الغَزَّالي وتبعه غيره ممن تكلم في هذا الفن من علوم الكلام والجدل والمنطق، وأنه قال بأن من لم يعرف هذه العلوم، فإنه لا يُوثق بعلمه .وقد عاب عليه ابن الصلاح عيبًا شديدًا جدًا، الشيء الذي جعل السُبكي لا يرضى بكلامه ويُدافع عن الغَزَّالي دفاعًا كثيرًا، قد ذكر هذا كله شيخ الإسلام–رحمه الله تعالى– في كتابه "شرح الأصفهانية" وذكر رد ابن الصلاح الطرطوشي المالكي والمازري المالكي على الغَزَّالي في هذا الباب.

ما حجة من أنكر نسبة الورقات للجويني ؟ وكيف نردّ عليها؟

- حجّة المُنكِر: في الورقات مخالفات لما قرره الجزيني في "البرهان" خاصة وأيضا في "الكافية"
- الرّدّ: هذا ناتج عن الاضطراب الحاصل للمصنف رحمه الله.

اذكري بعض المسائل التي يجد فيها طالب العلم اختلافًا واضطرابًا في كلام الجُويني؟

من المسائل المهمة التي يجد فيها طالب العلم اختلافًا واضطرابًا في كلام الجُويني؛ وردًا على ما يُقرره هو نفسه في كتاب "البرهان" و"الشامل" و"الإرشاد"، ما يتعلق بتعريفه للعقل وماهية العقل، وما يتعلق بمنهجية الاستدلال، وبتعريف العلم وما وقع له فيه من الاختلاف، وكذلك ما وقع له في مسألة التأويل والتفويض، وما وقع له في التكليف بما لا يُطاق إلخ.

إلى أي صنف من العلوم تنتمي أصول الفقه؟

- هي من علوم الآلة المهمة

بيّني أهميّتها؟

أهمّتها: لا يستغني عنها طالب العلم في فهم دلالات الألفاظ الواردة في كتاب الله–تبارك وتعالى–وفي سنة رسوله–صلى الله عليه وسلم–؛ بل يتجاوز ذلك إلى ما يتخاطب به الناس. قال شيخ الإسلام: (صاحب أصول الفقه ينظر في الدليل الشرعي ومرتبته، فيميز بين ما هو دليل شرعي وما ليس بدليل شرعي وينظر في مراتب الأدلة حتى يقدم الراجح على المرجوح عند التعارض).

ولهذا لما ذكر شيخ الإسلام–رحمه الله تعالى–في الفتاوى الكبرى، ما يتعلق بحديث معاذ ((أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلَا آلُو))[1]. قال:(إنه من أشهر الأحاديث عند الأصوليين، وإن كان مقصوده بالأصولي من يعرف أصول الفقه وهي أدلة الأحكام الشرعية على طريق الإجمال بحيث يميز بين الدليل الشرعي وبين غيره ويعرف مراتب الأدلة فيقدم الراجح منها وهذا هو موضوع أصول الفقه، فإن موضوعه معرفة الدليل الشرعي، فكل مجتهد في الإسلام فهو أصولي إذ معرفة الدليل الشرعي ومرتبته بعض ما يعرف المجتهد ولا يكفي في كونه مجتهدًا أن يعرف جنس الأدلة؛ بل لا بد أن يعرف أعيان الأدلة وميز بين أعيان الأدلة الشرعية وبين غيرها كان بجنسها أعرف كمن يعرف أن يميز بين أشخاص الإنسان وغيرها فالتمييز بين نوعها لازم لذلك ; إذ يمتنع تمييز الأشخاص بدون تمييز الأنواع .)

[1] بمد الهمزة : من آلى يألو . قال الخطابي :معناه لا أقصر في الاجتهاد ولا أترك بلوغ الوسع فيه

ما سبب إحجام بعض طلاّب العلم عن دراسة هذا العلم؟

- سبب إحجام بعض طلاّب العلم عن دراسة هذا العلم: بسبب تخوفهم مما خالطه من علم الكلام والمنطق

كيف ندفع هذا اللُّبس؟

ندفعه بمعرفة أن: أهل السنة والجماعة هم الأحق بهذا العمل وهم المصنفون فيه على الحقيقة وهم الذين بدأوه فهذا العلم كغيره من سائر العلوم التي كان يتداولها أئمة السلف من الصحابة والتابعون عند نزول القرآن عليهم وعند خطاب النبي صلى الله عليه وسلم لهم على مقتضى سليقتهم ولم تكن عبارة عن اصطلاحات وتعريفات .

يقول شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى– في "بيان تلبيس الجهمية": (فإنه قد تجدد بعدهم ألفاظ اصطلاحية يعبر بها عما دل عليه كلامهم في الجملة وذلك بمنزلة تنوع اللغات وتركيب الألفاظ المفردات) انتهى كلامه –رحمه الله–

ينبغي أن يُفرق بين إنكار العلم وبين ما اصطُلِح عليه فيه، لماذا؟

لأنه قد يقع في الاصطلاحات العامة والخاصة الخطأ، لكن هذا العلم ليس خطأ، لأنه موجود في ضمن علوم الشريعة التي كان الصحابة يتداولونها ليفهموا بها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

لماذا كان لعلم أصول الفقه خاصةً، النصيب الأكبر من الاختلاط بعلم الكلام؟

لأنه يعتبر حكمًا على فهم الأدلّة، وما يقدم منها وما يؤخر، وكيف يكون الأمر عند ظهور التعارض، فهؤلاء المتكلمون أرادوا أن يجروا الأدلّة إلى مدارسهم وإلى طرقهم، فوضعوا أصولًا وقواعد تحكّموا فيها بهذا الفنّ، فصارت هي القواعد التي يتحاكمون إليها، فلأن هذه الأصول هي الطريق الموصل إلى فهم هذه الأدلّة، أرادوا أن تفهم الأدلّة على طريقتهم، فجاءوا بهذه المسائل وأقحموها في كتب أصول الفقه.

من واضع هذا العلم؟

من الناحية التطبيقية: أئمة السلف

من الناحية النظرية: الامام الشافعي –رحمه الله– في كتاب "الرسالة". ومن محاسن ما وقع في "مراقي السعود" رحمه الله ناظمها، أنه قال:

أول من ألفه في الكتب*** محمد ابن شافع المطَّلِبي

وغيره كان له سليقه *** مثل الذي للعرب من خليقه

بعض الأمثلة لبيان أهمية هذا العلم وأن السلف كانوا يفهمونه بالسّليقة:

مثال1: في الصحيحين حديث ابن مسعود لما نزل قول الله–جل وعلا–:"الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ" شقَّ ذلك على أصحابِ رسول اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وقالوا: أيُّنا لايظلِمْ نفسَه فقال:النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ((لَيْسَ هَذَا الَّذِي إِلَيه تَذْهَبُ أمَا سَمِعْتُم قَوْلَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ لُقْمانُ: يَابُنَيَّ لَاتُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)). "ظلم" نكرة جاءت في سياق النفي تفيد العموم، لهذا فهموا هذا الآية على عمومها، ولم يثرب عليهم النبي صلى الله عليه وسلم لكن بيَّن لهم بأن هذا العموم يُراد به الخصوص(أي أُريد بهذا الظلم خصوص الشرك.) بقرينة أنه نُفِيَ عن صاحبها الهدي المطلق والأمن المطلق.

مثال2: بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم جاءت فاطمة تطلب ميراثها من نبي الله صلى الله عليه وسلم أبوها فاهمةً العموم من قوله تعالى: "يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِمِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ" ولم يبلغها–رضي الله عنها– المخصص وقد تُوفيت بعد أبيها عليه الصلاة والسلام بست أشهر ولما جاءت تطالب أبا بكرٍ، ذكر لها قول النبي عليه الصلاة والسلام ((لانُورَّثُ،ماتركناصدقةٌ)) ولم يثرب عليها.

مثال3: ما جاء في الصحيحين في قصة بريرة–رضي الله عنها وأرضاها–وبريرة هذه كانت أمة عند عائشة–رضي الله عنها–ثم أعتقتها واتخذت ولاءها لها. وكانت تحت مغيث وكان مولى لم يُعتق، والمرأة إذا عتقت، الأمة إذا عتقت فإنها تُخيَّر في زوجها تبقى معه، وإن كانت حرة، أو أن تتركه؛ وكان مغيث يحبها حبًا شديدًا، وكان يمشي كما جاء في الصحيح وهو يبكي، وكانت لا تريده–رضي الله عنهم جميعًا. فلما أُخبِر أن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، كلم بريرة–رضي الله عنها–فقالت: ((يَا رَسُولَ اللهِ أَتَأمُر قَالَ: لَا وَلَكِنِّي أَشْفَعُ))، ففهمت بريرة–رضي الله عنها–من أن النبي عليه الصلاة والسلام لو كان آمرًا لو كان هذا من جهة الأمر لأنها يجب عليها أن تطيع؛ ولكن لما بيَّن لها النبي عليه الصلاة والسلام أنه شافع، قالت:((لَا حَاجَةَ لِي بِهِ))،فلم يأمرها النبي عليه الصلاة والسلام بأمرٍ إلزامي بأن ترجع إلى مغيث.

مثال4: في قصة أبي سعيد بن المعلى كما في صحيح البخاري ومسند أحمد لما كان يصلي فدعاه النبي عليه الصلاة والسلام فلم يُجيبه، فلما قضى صلاته: قَالَ مَا مَنَعَكَ أَن تُجيب قَالَ:كُنتُ أُصَلِّي، قَالَ: أَلَم تَسمَع قَولَ اللهِ تَعَالَى "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ" ولم يثرب عليه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه لم يُجب على مقتضى فهم العموم من جهة أنه فهم أن دعاء النبي عليه الصلاة والسلام ودعاء غيره لا يُلزمه بأن يخرج من الصلاة، لأنه قال: كنت أصلي . وقد قِيل أيضًا أن هذه القصة حصلت لأبي بن كعب وإن كان فيها ما فيها.

هل يُمكننا التمثيل على كل المسائل الأصولية؟

- بعض المسائل الأصوليية لم يكن عليها دليل أو تمثيل وإنما كانت عبارة عن نتاج فكري، حتى عاب الرازي على نفسه هذا. ولهذا رحم الله الشاطبي إذ يقول: (كل مسألة في أصول الفقه لا ينبني عليها فروع فقهية أو آداب شرعية أو لا تكون عونًا في ذلك، فوضعها في أصول الفقه عارية). وكذلك عاب الإمام العلامة طاهر الجزائري–رحمه الله تعالى–في كتابه "توجيه النظر" على الأصوليين أنهم يذكرون مسائل في كتبهم لا ينبني عليها حكم، ولا فروع، ولا عمليات، وهذا مما يُعاب على من تعاطى أصول الفقه.

مدارس الأصوليين:

ما المراد بـ "مدارس الأصوليين"؟

- يعنون بها الصلة التي تتعلق بالنشأة، من جهة نشأة علم أصول الفقه كعلمٍ اصطلاحي له أبواب،وتعاريف، وقواعد

ماهي أقسامها المتعارف عليها ؟

- مدرسة المتكلمين: أي مدرسة أهل الكلام الذين يخلطوا علم الأصول بعلم الكلام وعلم الجدل وشَابُهوا بعلم المنطق ، ويجعلون على رأسها الإمام الشافعي–رحمه الله تعالى–
- مدرسة الفقهاء: ويجعلون على رأسها الحنفية؛ لأنهم يُكثرون في كتبهم الأصولية من المسائل العملية التي يُعبَر عنها بالفرعية.

وهل هذا التقسيم صحيح؟

لا، بل هذا التقسيم يحتاج إلى نقدٍ كبير وتصحيح

كيف الردّ عليه إذا؟

- القسم الأول:
  - فيه مقال ومردود فمعلوم شدة الإمام الشافعي–رحمه الله تعالى–على المتكلمين، وهو الذي قال: (حكمي في أهل الكلام أن يُطاف بهم وأن يُضربوا بالجريد والنعال وأن يُقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام).. وهناك من تنبه للأمر فقال كما هو مذهب الشافعية أو أصحاب الشافعي أو المصنفين على مذهب الشافعي.
  - مصنفاتهم لم تخل من المسائل العملية الفرعية من جهة التمثيل.
- القسم الثاني:
  - مصنفاتهم لم تخل من التقعيد والتأصيل والمناقشات والنقد والرد

اذكري إذا تصحيحا لهذا التقسيم؟

- القسم الأول:مدرسة الأصوليين من أئمة السنة الذين صنفوا كتب أصول الفقه على مقتضى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما خدمهما من آلات العلوم، وعلى رأسها الإمام الشافعي–رحمه الله تعالى–في كتابه الفذ العظيم "الرسالة" والذي صنفه بمطلب من الإمام عبد الرحمان بن المهدي لأنه كان مؤهلًا بجميع العلوم الخادمة لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأن أحدًا ممن عاصره لا يمكن أن يبلغ هذا المبلغ. وسار عليها كثير ممن جاء بعد الشافعي كالبخاري–رحمه الله تعالى–في صحيحه لما أودع فيه كتاب الاعتصام بالسنة، وكتاب الآحاد، وكتاب الأحكام وما أشبهها من أبوابه وكتبه؛ وأيضًا في السنن الأربع، وفي صحيح مسلم، جُمَل وإن كانت في صحيح مسلم قليلة، لكن جُمَل في السنن الأربع من التبويبات والترتيبات التي تدل على أن أصحاب السنن الأربع كانوا يُعمِلون قواعد أصول الفقه؛ والفوائد في هذا كثيرة. وصنف الخطيب البغدادي "الفقيه والمتفقه" ثم تناثرت كتب أهل السنة والجماعة في هذا الباب ككتاب "المسودة" لشيخ الإسلام لآل تيمية يعني الجد والأب والحفيد.
- القسم الثاني: مدرسة الفقهاء

لطيفة:

الشافعي–رحمه الله تعالى–كان يُلازمه أحمد بن حنبل، وكان يحي بن معين يُلازم سفيان بن عيينة لأنه كان يطلب العلو، وولعه بهذا معروف (بيتٌ خالٍ وإسنادٌ عالي) فلما يحي بن معين عاتب الإمام أحمد تترك حديث سفيان وتذهب إلى مجلس الشافعي هذا الفتى القرشي، قال له–رحمه الله تعالى–إن فاتك حديث سفيان بعلو أدركته بنزول لكن من لك بمثل الشافعي ومعرفته وفقهه أو بهذا المعنى.

اذكري بعض الكتب التي يُنصح بالعكوف عليها؟

- كتب يُنصح بها: الورقات" ثم "الفقيه والمتفقه" و"الرسالة" و"المسودة" و"إعلام الموقعين"و رسالة الدكتوراة "القواعد الفقهية المستخرجة من كتاب إعلام الموقعين " للدكتور عبد المجيد جمعة الجزائري–وفقه الله–.

درر متناثرة من الدرس الأول:

1- لا أنصح بأي كتاب في علوم الآلة للمبتدئين بدون معلمين، لابد من معلمٍ

2- " من رام العلم جملة ذهب عنه جملة"؛ خذ العلم شيئًا فشيئًا على مر الأيام كما قال إبراهيم النخعي، مما ذكره عنه الحافظ أبو عمر بن عبد البر في "جمع العلم وفضله"، ثم ذكر قول الشاعر:

اليوم علم وغدًا مثله ***من نخب العلم التي تلتقط

يحصل المرء فيها همة ***وإنما السيل اجتماع النقط

وكما قال النبي عليه الصلاة والسلام لمعاذ ((وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَن يَسَرَهُ اللهُ عَلَيهِ))؛ لكن الخلل الذي يقع عند بعض طلبة العلم أنه يريد أن يكون عالمًا في سنتين أو في عشر سنين، لا ينتهي العلم مع أحد، كما قال الإمام أحمد: (من المحبرة إلى المقبرة).